متسول الحقيقة

قد يكون التسول من أكثر الأشياء وضوحا ، ولكن يحمل بين طياته الكثير من الأسرار, وقد يرى البعض أن قصتي ضرب من الخيال ,, رحت افكر وأنا أتابع قصة متسول شارعنا,, كانت إقامته الدائمة بمفترق أربع شوارع على ناصية ميدان صغير بالحي الذى أسكن فيه,, كنا نشاهده يجمع الكرتون ويحيط به نفسه ويرتدى بذله واسعة قديمة,, أصبح وجوده بيننا من ظواهر المنطقة حتى إذا غاب يوما نشعر بالقلق ,,

كان الشباب يجلسون بجانبه على الرصيف يتسامرون ,,, ولكنه لم يكن ينطق بكلمة,,, مر عليه بيننا قرابة الثلاث سنوات,,, وذات يوم دهمته سيارة بعد صلاة الفجر ومات قبل أن يتم نقله للمشفى ,,, ونقل إلى مشرحة المستشفى العام ,,, واتفق أهل الحى أن يدفنوه بمقابر الصدقات,,, واقترح أحدهم ان يبحثوا بأغراضه علهم يعثرون على عنوان او اهل ,,, واكتشفوا بداخل أغراضه بطاقة تحمل

صورته وكانت أكثر وضوحا ووجهه أكثر إشراقا والأغرب ما كتب بها,,, أستاذ جامعي في كلية مرموقة,,, أما العنوان فكان في منطقة راقية,,, اتفقوا أن يذهب اثنان منهم إلى العنوان المكتوب وكان منهم أخي ,,, وعاد حزينا وراح يقص حكايته بصوت حزين وقلب ملؤه الألم،

قال : وصلنا وكان ولابد من الإستئذان قبل الصعود ,,, سألنا عن إسمه او أحد من أسرته,,, ولم يكن هناك إلا ابنته, فطلبنا مقابلتها وخبرناها أننا نعرف أخبارا عن والدها,,, ويبدو أنها كانت قلقه ووافقت على الفور على المقابلة ,, واستقبلنا رجل كبير في السن واصطحبنا إلى ردها واسعة وكانت تجلس فتاه في أواخر العشرينات بوجه جميل برغم مسحة الألم والحزن,,, واعتذرنا منها ,,, وسألناها عن والدها فأخبرتنا إنه غائب من فتره فأخبرناها بحكايتنا وقصة متسولنا ,, راحت تبكى بلا صوت بشهقات تقطع نياط القلوب ,, ولم نقو على الحراك أو الكلام واعتذرت منا... بصوت حزين قالت ... قصتنا أقرب إلى الخيال برغم واقعيتها,,

والدى كان دكتور ناجح وكنا أنا وأخى التوأم طلاب معه في كليته وقد تعلمنا منه المثل العليا وحرية التعبير ,, قبل

25 يناير انضممنا إلى الكثير من الشباب الحالمين بالتغير,,, وقد كان بيننا وبين والدى جدالا دائما... نحن نرى أن سبب تردى الأوضاع وسوء الأخلاق الفقر وهو مقتنع أن هناك أسبابا أخرى في المجتمع ,,, إذا كان الفقر فلماذا في بعض الدول المتقدمة او الغنية توجد جرائم قتل ، وسرقة ، وانتحار ، واغتصاب !!

وانحلال أخلاقي ,,, وكان ينتهى النقاش دائما بلا نتيجة ,, بمرور الوقت أصبح يناصر قضيتنا عن اقتناع,, وانتفض الشباب ثم أصبحت انتفاضة شعب,, ورحنا نمتطى موجة الإنتفاضة وكانت أيامنا تتوالى ما بين كر، وفر،

وكان يجلس معنا في بعض الأيام في الميدان وتتابعت الأحداث، وزادت الفوضى التي تعم البلاد عادة بعد أي ثورة غير منظمه وبلا زعيم ، وذات يوم بعد نقاش حاد قرر والدى أنه سوف يقوم ببحث ميداني في بعض المناطق المتوسطة والفقيرة ... كانت فكرته (المتسول الشيك) يملك بدلة قديمة كأنه من أصابه العسر بعد اليسر,,, واختار منطقة ولم يخبرنا أين، وبدأ في كتابة أطروحته واستمر هذا الوضع شهورا كان يخرج لساعات ويعود وقد مر على الثورة أكثر من عام,, كان يحلم بأن يؤرخ للأجيال القادمة قصة شعب

وأسباب ثورة,, وبلا مقدمات أصيب اخي في خضم الأحداث وقتل وأصابت والدى حالة من الإكتئاب، وعادت تتدفق الدموع مره أخرى بغزارة كأنها ينبوع لا يجف ، وبعيون لا ترى من حولها تنظر وكأنها تخترقنا بنظرتها إلى عالم بعيد وتعيش الماضي مره أخرى ...

راحت تتحدث بصوت عميق ... قد أصيب والدى بحاله من الإكتئاب وأصبح لا يأتي للمنزل إلا على فترات أما أنا فقد انخرطت في النشاط الثوري حتى آصبت وأصبحت قعيدة ولم أر والدى منذ شهرين وأبلغت الشرطة وسألت الجميع... ؟ وطلبت أن نساعدها في استلام جسده ودفنه بمقابر الأسرة وقد كان... وقد سمحت لنا أن نقرأ أطروحته وهي تعد حجة ودراسة لحال المجتمع ولابد أن تدرس فهي تفند أسباب تردى أوضاع المجتمع وقد قررت أن تنشرها في كتاب لتخلد بها ذكرى والدها، تلك كانت قصة متسول لم يكن متسولا ولكنه كان إنسانا يتسول المعرفة ويبحث عن الحقيقة في عالم فقد القدرة

على الفهم والتفاهم.